في سبيل الوحدة العربية

في صيف عام ١٩٤٢ هبط دمشق مدير معارف الكويت صديقي الاستاذ عبد اللطيف الشملان (وهو عربي من البحرين طيب القلب والخلق حسن الثقافة ، مخلص ومتدين) لايفاد بعثة من الشباب السوري المثقف لتنظيم شؤون المعارف وللادارة والتعليم في الكويت ، وقد قابل وزير المعارف اذ ذاك معالي الاستاذ خليل مردم بك وطلب منه ان ترسل وزارة المعارف السورية بعثة من المعلمين السوريين الى الكويت يتقاضى اعضاؤها نصف رواتبهم من سورية والنصف الآخر من الكويت، كما طلب ان تقبل بضعة تلامذة كويتيين في مدارسنا السورية ، ولأمر ما اعتذر وزير المعارف اذ ذاك عن اجابة هذين المطلبين العادلين، فشخص الشملان الى فخامة رئيس الجمهورية السورية المرحوم الشيخ تاج الدين الحسني ، فاجاب طلبه ايضاً . وقد ابدى الشملان ألمه وخيبة أمله في الحكومة السورية فذهبت الى وزير المعارف احدثه في الامر فلم أجد لديه قبولا . ولا ادري فيما اذا كان سبب الرفض ضغطاً خفياً من جهات لا تحب تقارب الاقطار العربية أم لقناعته الشخصية بعدم وجود فائدة من ايفاد هذه البعثة لسورية او للكويت !؟!.

أنا شاب اؤمن بفكرة الوحدة العربية وهي غايتي في الحياة واعمل لها بكل قواي ، واعتقد ان هذه الوحدة لا تتم بالاماني بل لا بد ان يسبقها تفاهم وتعاون تام بين الاقطار العربية الشقيقة ، ولا يتم التفاهم والتعاون الا بالاتصال والتعارف اللذين يتحققان بطرق شتى منها الرحلات والزيارات المجردة الفردية العادية والالبية الجماعية ، لأن الزيارة تحكم الصلة والصلة تخلق الصداقة والحب ، وكما يقع ذلك في حياة الافراد ويعطي ثماره الطيبة فهو ولا شك أبعد اثراً وأطيب ثمرة اذا كان هذا الاتصال بين اقطار شقيقة .

ومن عوامل تقارب الاقطار العربية اقامة المهرجانات القومية من رياضية وعلمية واحياء اسواق الادب وعقد المؤتمرات والاجتماعات القومية من سياسية

وحربية وثقافية الخ ... مما لا ينكر اثرها الطيب في تقارب العرب ، ولكن اجدى وسائل التقارب والتعاون بين هذه الاقطار انما هو تبادل البعثات العلمية والفنية والعسكرية وما شابهها لان اثرها ابقى واعمق وفائدتها أعم وأشمل . شريطة ان تحمل هذه البعثات فكرة قومية عربية اسلامية قوية تبشر بها ، وشريطة ان يعمل افرادها في الاقطار الشقيقة على أنهم مواطنون في الاقطار الذاهبين اليها وعلى انهم خدم للفكرة العربية وجنود للنهضة والتقدم والتحرر والتوحد والوثوب .

إن الوحدة العربية المنشودة ايها الاخ القارئ لا تتم بالتصفيق وشق الحناجر بالهتاف ولا بتدبيج المقالات فحسب لأن هذه الوسائل هي وسائل دعاية وهي وإن تكن لازمة الا انها غير كافية وغير مجدية لوحدها بل لا بد من العمل الحقيقي ومن بذل الجهود الجبارة المثمرة .

يجب ان لا ننام على الوعود التي تعطى والعهود التي تقطع لنا بتحقيق وحدتنا ، ويجب ان لا يخدرنا عطف بعض الدول علينا فنتوهم ان الوحدة قد تحققت او كادت ويجب ان لا نعتمد على مساعدات بعض الدول لتوحيدنا وإنما يجب ان نحقق وحدتنا بأيدينا وسواعدنا وان نحرر وطننا السوري الصغير ووطننا العربي الاكبر بجرأتنا وعزمنا ، يجب ان ننشيء حضارتنا بنبوغنا نحن وبعبقريتنا . فاذا جاءتنا بعض المساعدات من بعض الدول فمرحباً وشكراً ، وان لم تأت هذه المساعدات بل اذا اقيمت في وجهنا العراقيل فعلينا ان نكون اهلا لاقتحام اللجة وحدنا ولتحقيق آمالنا بانفسنا فقط ، واذا كنت عاجزاً عن ان تنال حقك بيدك فهيهات ان يعطيكه غيرك . وان الذي يعطيك بيده اليمنى سرعان ما يأخذ منك بيده اليسرى .

ان فكرة الوحدة العربية ليست فكرة هينة ، وتحقيقها ليس بالامر السهل لاننا نحن شباب العرب نريد لم شعث العرب في كل قطر عربي ، ونريد تحرير كل صقع مقدس من ارض الوطن العربي الاكبر ، نريد وثبة يعربية عامة في السياسة والاجتماع والفكر والثقافة والاقتصاد والحرب والعمران ؛ وهذا طبعاً لا يتم بالقاء الخطب فقط من فوق المنابر في دمشق وفي الشرفات في بغداد وفي الحفلات التي تقام في القاهرة بل لا بد من طي آلاف الاكيال ومن اجتياز الصحارى وركوب البحر والريح

وتحمل الاخطار في سبيل نشر هذه الفكرة السامية في الكويت ونجد واليمن وعمان وفي كل قطر عربي .

ولا يكفي لتحقيق الوحدة العربية ان تكون هذه الفكرة مختمرة في افكار الشبان السوريين والعراقيين فقط والتي غدت عند السوريين فلسفة ثابتة لايحيدون عنها وانما يجب ان تكون مختمرة ايضاً عند اخواننا في مصر واليمن وحضرموت ولحج والبحرين وتونس والريف ومراكش والجزائر وطرابلس الغرب وفي الكويت واسكندرون اللواء السوري العربي السليب وفي كيليكية المحافظة السورية المنهوبة وفي كل قطر عربي .

لست في معرض بيان كيفية تحقيق الوحدة العربية اذ ليس هذا مكان بيانه ، وانما ازيد ان ابين اثر تبادل البعثات بين اقطار الوطن العربي الاكبر ومدى تقصير الحكومة السورية في القيام بهذا الواجب المقدس .

يجب ان يعتقد كل عربي انه لا فرق بين أي قطر وقطر ولا مفاضلة بين أي عربي وعربي ، فلا فرق بين سورية والعراق ومصر واليمن وتونس ... الخ ... كما انه لا فرق بين دمشق وبغداد والقاهرة ومكة ... .

ولا فرق بين السوري والنجدي والكويتي والجزائري والحضرمي . كلنا عرب اخوان ننتمي الى ارومة واحدة وهي العروبة وأنعم بها من ارومة ونستظل بظل واحد وهو ظل الاسلام واكرم به من ظل .

وعلى ذلك يجب ان تكون الاقطار العربية كلها على مستوى واحد في النهضة او بدرجات متقاربة من التقدم الفكري والمادي لامكان تحقيق الوحدة المنشودة ولا يكفي ان توجد النهضة في سورية [١] والعراق ومصر فقط هذه الاقطار الثلاثة الشقيقة التي تساير النهضة العالمية والتي تشق لنفسها ولشقيقاتها الطريق ليتبوأ الوطن

---

[١] كل لفظ سورية يمر في هذا الكتاب اقصد منه سورية الكبرى بما فيها لبنان وفلسطين وشرق الاردن المنفصلة عن سورية الام مع الاسف ، والسوري هو من يقطن سورية الكبرى .

العربي الاكبر مكانه السامي بين الدول في حين ان اليمن ونجداً وامارات الخليج والبحر العربي لا تزال مع الاسف متأخره . يجب ان نعترف بالحقيقة وان نصور امراضنا لنعالجها . يجب أن نكون صريحين ، ان بين سورية والعراق ومصر من جهة وبين اقطار عربية شقيقة كثيرة اجيال وقرون ومن الصعب ان يمكن توحد الاقطار العربية وهي على هذه الحال من التباين وبينها هذه الدرجات من التفاوت في الحضارة .

شرط اساسي لنجاح كل جمعية او شركة او حزب او حكومة ان يوجد بين اعضائها انسجام وتفاهم ، واذا اردنا نحن ان نحقق الوحدة العربية فيجب ان يكون بين الاقطار العربية ايضاً انسجام وتفاهم . اذن يجب ان نعمل نحن العرب جميعاً بكل قوانا المادية والادبية وخاصة السوريين والعراقيين والمصريين على ان نأخذ بيد الاقطار العربية الشقيقةالاخرى الى حيث النهوض والتقدم والحرية والاستقلال وان ننتشلها من التقهقر والانحطاط ومن الجهل والفقر والمرض . يجب ان تكون النهضة في الكويت كما في سورية وفي اليمن كما في العراق وفي نجد كما في مصر او على الاقل ان تكون متقاربة ودون ذلك عشرات السنين وجهود الجبابرة . على ان هذه المصاعب يجب ان لا تثنينا عن عزمنا وان لا تقلل من حماستنا فلنعمل منذ الان بعزم واخلاص واقدام .

ومما يدعو الى الارتياح ان بوادر النهضة المباركة ظهرت في كل قطر عربي ، في اليمن التي استقدمت من سورية بعثات عسكرية وزراعية وطبية . ومن العراق بعثة عسكرية ، كما انها ارسلت ابناءها الغر للدراسة في العراق ومصر . وفي المملكة العربية السعودية التي تعد انشط الاقطار العربية في بذل الجهود للنهضة بفضل جهود صاحب الجلالة الملك ابن السعود ففي مملكته بعثات من السوريين للشؤون الصحية والمالية والادارية والسياسية والتعليمية ، ومن المصريين الذين يقومون بواجباتهم في الصحة والعمران والزراعة والتعليم . وها هو جلالة الملك يرسل الشباب العربي السعودي الى مصر واوروبة وامريكة وبيروت لتلقي العلم والطيران الخ... وجدلو يرسل جلالته مثل هذه البعثات للدراسة في سورية .

وفي الكويت إذ استقدمت بعثات تدريسية من سورية وفلسطين ومصر وارسلت ابناءها للتعلم في العراق ومصر وبيروت واخيراً في سورية . وفي البحرين اذ استقدمت بعثات تدريسية وزراعية من سورية ومصر ، وكذلك مسقط التي استقدمت بعثة تدريسية من فلسطين ، هذا عدا البعثات الكثيرة بالآلاف المتبادلة بين سورية والعراق ومصر .

وهذا وايم الحق مما يثلج الصدر ومما يجعلنا نطمئن الى مستقبل العروبة اللامع ولكن لا بد من مضاعفة الجهود ، ان هذا لا يكفي لتحقيق آمالنا البعيدة فلا بد من العمل اكثر لزيادة التقارب والتفاهم بين الاقطار العربية ولمحو الفروق بينها بقدر الامكان ؛ ثم لايجاد الكتل العربية امثال كتلة سورية — العراق ، وكتلة الجزيرة العربية كلها عدا اليمن وما حولها ، وكتلة اليمن وما حولها ، وكتلة مصر — السودان — برقة ، وكتلة افريقية العربية الباقية . ومن ثم لتحقيق الوحدة الكبرى .

وقد بذلت الاقطار العربية في هذا المضمار جهوداً طيبة وخاصة سورية .

ولكن كم كانت دهشتي عظيمة وخيبة املي كبيرة برجالنا وامام الكويت حينما اعتذر وزير المعارف عن تلبية طلب الكويت بارسال بعثة من المعلمين السوريين وبقبول بضعة تلامذة كويتيين ، ان هذا واجب على سورية حكومة وشعباً . السوريون وغير السوريين مجبرون على انهاض الاقطار العربيه الاخرى ...

وماذا يكلف الخزانة السورية ايفاد خمسة معلمين الى الكويت ؟ وماذا يكلف بيت المال السوري قبول بضعة تلامذة كويتيين في مدارسنا بينما المال يبذر يميناً وشمالا بحق وبدون حق ؟! ان مدارسنا تقبل آلافاً من الطلاب السوريين من كل انحاء سورية يدرسون مجاناً في الاقسام الداخلية والخارجية في مدارسنا الابتدائية والمسلكية والمتوسطة والثانوية ، فهل يصعب على وزارة المعارف قبول عشرة طلاب كويتيين ؟ انصفوا ايها القوم ، لا فرق بين حلب والكويت — طبعاً من الناحية القومية لا السياسية — ويجب ان يقبل التلامذة الكويتيون في مدارسنا كما يقبل التلامذة الجورانيون سواء بسواء . واذا لم نأخذ نحن بيد الكويت وغير الكويت

فمن يأخذ بيدها هل اليابان ام امريكة ام روسية ؟ كلا . واذا لم نساعد نحن الكويتيين وغيرهم من العرب فهل تنتظرون ان يهب الفرنسيون او الانكليز اوالعجم لمساعدتهم ؟ ان قليلا من الانصاف وذرة من التفكير ونسمة من الاخلاص تكفي لبيان صحة ما ادعو اليه وذنب رجالنا .

وتجاه اعتذار وزير معارفنا الاديب الكبير (حفظه الله ؟!) عن قبول مطالب الكويت وتجاه خيبة امل مدير معارف الكويت بالحكومة السورية قلت : اذا قصرت الحكومة السورية في القيام بالواجب فيجب ان لا يقصر الشعب السوري الذي ما قصر ولن يقصر لذلك اسرعت فاتفقت وثلاثة من الشبان السوريين وهم الاساتذة كامل بنقسلي وعبد العزيز ملص وحيدر مصطفى مع مدير معارف الكويت على العمل في معارف الكويت مقابل اجور زهيدة لا تتجاوز الثمانية عشر ديناراً أي نحو مائة وستين ليرة سورية فقط لا يدفعنا الى ذلك سوى خدمة الكويت ودعم الفكرة العربية .

قررت السفر الى الكويت ولم يمض على نوالي شهادة الحقوق الا ثلاثة اشهر ، ولم يمض على تدربي على المحاماة اكثر من شهرين فقط ومع ذلك عزمت على ترك المحاماة وعلى ترك النعيم والاهل والاحباب والاصدقاء ودمشق الى الصحراء ، الى الحر ؛ الى البعد واخذت اعد العدة للسفر .

وكان من اثر خيبة امل مدير معارف الكويت لدى الحكومة السورية أن شخص الى مصر ليعرض عندهم ماعرض عندنا . أتدري ماذا اجابت مصر الشقيقة؟ لم يشمخ الوزير بانفه ولم تتكبر مصر على الكويت وانما قبلت كل طلباتها بمخابرات هاتفية فأرسلت اربعة معلمين وأرسلت عام ١٩٤٤ بضعة عشر معلماً ومديراً وقبلت في مدارسها بضعة عشر تلميذاً كويتياً يدرسون في مدارسها الثانوية والعالية مجاناً على نفقة حكومة مصر ، وهذه عاطفة طيبة تشكر عليها مصر الشقيقة وتلام على التقصير فيها سورية التي تدعي العروبة اكثر من كل قطر عربي آخر .

ان الشعب المصري لم يجاهد في سبيل العروبة كما جاهد الشعب السوري .

ولكن الحكومة المصرية تعمل للفكرة العربية اكثر مما تعمل لها الحكومة السورية عندنا شعب وفي مصر رجال ، فأين رجالنا ؟!

ويجب ان اقول هنا شاكراً ان دولة السيد جميل مردم بك وزير خارجية سورية قبل تلميذاً كويتياً من دمشق تنفق عليه وزارة الخارجية لا المعارف وكان لمساعي صديقي الاستاذ حيدر الركابي الاثر الحسن ، وحبذا لو تنهج الحكومة السورية الوطنية الحاضرة نهج حكومة مصر فتقبل مجاناً بضعة تلامذة كويتيين في مدارسنا فبذلك تسدي للكويت ولسورية وللفكرة العربية خدمة جلى .

قررت السفر الى الكويت لانه واجب قومي مفروض علي وعلى كل عربي . ولم تجد كل المحاولات التي اثارها اهلي واصدقائي لثنيي عن عزمي ، هل تترك دمشق وما فيها من ظل وماء وجمال ونعيم الى الصحراء حيث الحر والهجر والجفاف ؟. أمحام في دمشق يصبح مديراً في الكويت ؟ لو شئت لصرت حاكما او قاضياً او مديراً ادارياً او موظفاً كبيراً ؟!. هل تترك امك واهلك ومحبيك واصدقاءك ؟ قلت: انا جندي في جيش العروبة . وعلي ان اقوم بواجبي نحو الفكره العربية وبقسطي من الجهاد الذي لاينحصر في اطلاق النار فقط وانما في التعليم والدعاية ايضاً ، الكويت بحاجة الى من ينظم امور التعليم فيها فعلي ان الي .

وأنا اذ انتقل من دمشق الى الكويت فانما انتقل من بلدي الى بلدى ومن بين اهلي واصدقائي الى اهل واصدقاء جدد .

لهذا سافرت الى الكويت ، لخدمة الفكرة العربية .

ولا بد من ان اشير هنا الى ان بعض رجالات سورية يعرفون الكويت فقد زارها بطريقه الى نجد فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ودولة السيد جميل مردم بك وزير خارجية سورية ، وكذلك زارها دولة السيد رياض الصلح وبعض الزعماء السوريين الذين كانوا مطاردين من قبل السلطات الاجنبية في سورية بطريقهم الى جلالة الملك ابن السعود ملجأ العرب .